تفقد أحوال المدعوين ومواساتهم وفق التوجيهات النبوية

د. عبد العزيز بن عبد الله القرني

أستاذ الدعوة المساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

جامعة أم القرى

مستخلص البحث

يتناول هذا البحث أهمية تفقد المدعوين ومواساة المحتاجين منهم، وفق التوجيهات النبوية، حيثيهدف إلى بيان المنهج النبوي العملي في تفقد أحوال المدعوين ومواساة المحتاجين منهم والأحاديث النبوية الواردة في ذلك. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي والمنهج التحليلي الاستنباطي، وتوصل الباحث في العديد من النتائج منها؛ أن المنهج النبوي واضح في تفقد أحوال المدعوين عمليًا ومواساة المحتاجين منهم، حيث تزخر السنة النبوية بعشرات الأحاديث النبوية في ذلك، وأن الاهتمام بالمدعو وتفقد أحواله ومواساته إن احتاج لذلك من قبل الدعاة؛ أسلوب دعوي مؤثر في إيصال الرسالة الدعوية. وأوصى الباحث الدعاة إلى الله أن يكونوا على قدر المسؤولية التي أولاهم الله إياها، فالناس يحتاجون إلى من يسأل عنهم ويتفقد أحوالهم ويتحسس أخبارهم للاطمئنان عليهم.الكلمات الافتتاحية: التفقد – الأحوال – المدعوين – المواساة– التوجيهات.

مقدمة:

الحمد الذي خلق الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعًا وتسعين، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا به يتراحم الخلق، والصلاة والسلام على من قال له ربه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩]، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستنَّ بسنته إلى يوم الدين.

موضوع البحث:

يتطرق موضوع هذا البحث لأهمية تفقد المدعوين ومواساة المحتاجين منهم، وفق التوجيهات النبوية والأحاديث الصحيحة. وقد أحببت في هذا البحث أن ألقي الضوء حول هذا الموضوع، وذلك لأجل هذه المسؤولية الكبرى التي تقع على عاتق الدعاة، فيحتاجون من آن لآخر إلى التذكير بهذه الأمور.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

لهذا الموضوع أهمية كبيرة في مجال الدعوة استدعت اختياره للكتابة فيه.

١. يحاول هذا البحث تقديمَ الزاد الأخلاقي الذي تحمله التوجيهات النبوية للدعاة إلى الله ليروا من خلالها الصفات والأخلاق العملية للدعاة.

٢. تكمن أهمية هذا البحث في الاطلاع على سيرة النبي ﷺ وطريقة السلف في استخدام هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله.

٣. غياب هذا الخُلق العملي عند بعض الدعاة فهمًا وتطبيقًا، مما ينعكس سابًا على

دعوتهم. وإحساس المدعو الذي هو في بداية طريقه إلى الله بالغربة وسط مجتمع لا همَّ لأفراده إلا أنفسهم.

٤. بعض من قصص الانتكاس يكون من أسبابها هجران الإخوان وعدم السؤال عن بعضهم البعض، وقد يكون أحدهم في حاجة إلى مساعدة مادية أو معنوية.

٥. تفقد أحوال الناس يفتح أبوابًا واسعة من الخير على الإنسان في محو السيئات وزيادة الحسنات، وهذا ما ينبغي أن يستوعبه الدعاة.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

الدعوة في الإسلام لا تقتصر على الأقوال دون الأفعال، ولا تطلب من المدعوين الصلاح والالتزام وتترك أحوالهم واحتياجاتهم، فالإنسان كلٌ لا يتجزأ، وكذلك هي الدعوة الإسلامية، بيد ان المشكلة أن عذا التكامل والارتباط يغيب عن فقه وفهم ومنهج بعض الدعاة؛ مما يحرم دعوتهم من التأثير، وحول هذا تدور مشكلة هذا البحث والتي يمكن صياغتها في بعض التساؤلات كما يأتي:

١. ماذا نعني بتفقد أحوال المدعوين ومواساة المحتاجين؟

٢. ما أبرز التوجيهات النبوية في تفقد المدعوين ومواساة المحتاجين؟

٣. ما أبرز المواقف النبوية العملية في تفقد المدعوين ومواساة المحتاجين؟

٤. ما آليات تفقد المدعوين وصور مواساة المحتاجين؟

أهداف البحث:

١. عرض المنهجية النبوية في بعض جوانب الدعوة العملية من خلال الأحاديث

النبوية.

٢. إرشاد الدعاة إلى أهمية تفقد أحوال المدعوين ومواساة المحتاجين منهم.

٣. بيان المنهج النبوي في تفقد أحوال المدعوين والأحاديث النبوية الواردة في ذلك.

٤. حث الدعاة على مواساة المحتاجين من المدعوين وفق المنهجية النبوية.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي (النظري)، من خلال استعراض الأحاديث النبوية من مصادرها الصحيحة، وذلك بتتبع وحصر كافة الجزئيات والوقائع التاريخية من أفعال الرسول ﷺ وأصحابه المتعلقة بموضوع البحث، وإسقاطها على عمل الدعاة اليوم.

ثم المنهج التحليلي الاستنباطي، وطبقت هذا المنهج في بحثي من خلال تحليل مضمون الأحاديث والتوجيهات النبوية من مصادرها الصحيحة، وتفسير محتواها، واستنباط واستخراج ما أمكن من المضامين والمفاهيم والدروس التي احتوت عليها.

الدراسات السابقة:

لا شك في أن موضوع الدعوة وكل ما يتعلق بها من منهج وفقه وسائل وأساليب قد أُشبعت بحثًا، بيد أن موضوعي هذا يتصل بالأساليب العملية السلوكية، حيث يمس جانبًا مهمًا نذُرت الكتابة فيه إلا باستثناءات محدودة في إشارات سريعة في بعض المؤلفات والدراسات الدعوية، إذ لم أقف على دراسة دعوية مفردة تناولت هذا الموضوع.

خطة البحث، وتشتمل على مقدمة ومبحثين وخاتمة:

مستخلص البحث وترجمته.

المقدمة.

المبحث الأول:تفقد أحوال المدعو.

المطلب الأول: تعريف تفقد أحوال المدعو

المطلب الثاني:آليات تفقد أحوال المدعو

المبحث الثاني: مواســـــاة المحتاجيـــــن.

المطلب الأول: تعريف مواساة المحتاجين.

المطلب الثاني: مشروعية المواساة عند الحاجة.

المطلب الثالث: من صور المواساة.

الخاتمة، وتشتمل على:

- أهم النتائج.
- التوصيات.

-قائمة المصادر والمراجع

المبحث الأول

تفقد أحوال المدعوين

المطلب الأول: تعريف تفقد أحوال المدعو.

تفقد لغةً:قال ابن فارس: "الفاء والقاف والدال أصيل يدل على ذهاب شيء وضياعه، ومن ذلك قولهم: فقدت الشيء فقدا، والفاقد: المرأة تفقد ولدها أو بعلها، والجمع فواقد. فأما قولك: تفقدت الشيء، إذا تطلبته، فهو من هذا أيضا، لأنك تطلبه عند فقدك إياه. قال الله – تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[النمل: ٢٠][1].

وقال الجوهري: "تفقدته. أي طلبته عند غيبته" [2].

ومنه الافتقاد، وافتقد الشيء: طلبه؛ قال الشاعر:

فلا أخت فتبكيه ولا أم فتفتقده[3].

أحوال لغةً: جمع حال،وتحول عن الشيء: زال عنه إلى غيره. ومنه قول النابغة الجعدي:

أكظك آبائي فحولت عنهم وقلت له يا ابن الحيالا تحولا[4]

1() مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤/ ٤٤٣)، مادة (فقد).

(٢) الصحاح، الجوهري، (٢/ ٥٢٠)، مادة (فقد).

(٣) البيت بلا نسبة. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٣/ ٣٣٧)، مادة (فقد).

(٤) ديوان النابغة الجعدي (ص: ١٣٧).

وحال الشيء حولاً وحؤولاً وأحال، الأخيرة عن ابن الأعرابي، كلاهما: تحول[1].

وتحول: تنقل من موضع إلى موضع آخر، والتحول: التنقل من موضع إلى موضع، والاسم الحول، والحول كالحوال، وحوال الدهر: تغيره وصرفه، والحوالة: تحويل ماء من نهر إلى نهر، والحائل: المتغير اللون[2].

المدعو لغة: اسم مشتق من الفعل دعا، ودعوت فلانا أي صحت به واستدعيته، ودعا الرجل دعوا ودعاء: ناداه، والاسم من دعا: الدعوة، والمدعو: اسم مفعول من الفعل دعا[3].

تفقد أحوال المدعو اصطلاحًا:

قيل: «من توجه إلى الدعوة»[4].

وقيل: «الإنسان العاقل المخاطب بدعوة الإسلام، ذكرا أو أنثى، مهما كان جنسه ونوعه وبلده ومهنته إلى غير ذلك من الفروق بين البشر»[5].

وقيل: «كل مخاطب بالدعوة من الخلق»[6].

وهذه تعريفات ألفاظ هذا الأسلوب، كل مفردة على حدة، وحين ينضم بعضها إلى بعض

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، (٤/ ٧)، مادة (حول).

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (١١/ ١٨٧)، مادة (حول).

(٣) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، (٣٨/ ٥١)، مادة (دعو)، ولسان العرب، ابن منظور، (١٤/ ٢٥٨)، مادة (دعا).

(٤) المدخل إلى علم الدعوة، د. أبو الفتح الميداني، ص (٤١).

(٥) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، أ. د. حمود الرحيلي، ص (٤٩).

(٦)الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبد الرحيم المغذوي، (٢/ ٥٥٦).

كأسلوب دعوي وهو(تفقد أحوال المدعو)، فإن تعريفه من وجهة نظر الباحث هو: (تطلب المدعو عند تقلب أحواله الدينية أو الدنيوية، ومعالجة ما يحتاجه).

المطلب الثاني: آليات تفقد أحوال المدعو.

أمر الله نبيه ﷺ بملازمة أصحابه وألا يفترق عنهم؛ روى الطبري عن خباب قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري رضي الله عنهم، فوجدوا النبي ﷺ قاعدًا مع بلال وصهيب وعمار وخباب، في أناس من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم، فأتوه فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا العرب به فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: «نعم» ، قالوا: فاكتب لنا عليك بذلك كتابا. قال: فدعا بالصحيفة، ودعا عليا ليكتب، قال: ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبريل بهذه الآية: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[الأنعام:٥٢]، ثم قال:﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الأنعام:٥٣]، ثم قال:﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[الأنعام:٥٤]، فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يده، ثم دعانا، فأتيناه وهو يقول: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}، فكنا نقعد معه، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله تعالى:﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ

وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾[الكهف:٢٨]، قال: فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم(١).

وهذا الحديث يشعرنا بالتقارب الشديد بين النبي ﷺ وأصحابه، فكان لا يغيب عنه أحدهم إلا أحس بفقده، حتى إنه في إحدى المعارك يقول لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟ فقالوا: يا رسول الله، نفقد فلانًا وفلانًا، قال رسول الله ﷺ: «ولكن أفقد جليبيبًا»(٢).

وانظر كيف يكون الأثر إذا افتقدك أخٌ لك عند غيابك وسأل عنك وزارك، لعمر الله إنه لأثر قوي يقع في نفسك امتنانًا وعرفانًا لهذا الصنيع، ثم إنه يتحول بعد ذلك إلى استجابة لما تأمر به من معروف وتنهى عن منكر، وهذا هو المقصد من الدعوة إلى الله، وتأليف قلوب الناس حتى يسهل عليهم أمر الطاعة.

إن الداعية الموفق هو الذي يحسن الوصول إلى قلوب المدعوين، فيبذل ما في وسعه من التدابير والأساليب الجاذبة التي تجعل لقوله قبولاً، ولدعوته تأثيرا، يتمكن بذلك من التغيير والإصلاح في نفوسهم وسلوكياتهم.

ولا يتملك قلب المرء شيء كإبداء الاهتمام به، وإظهار الحفاوة به، ولهذا سلك النبي ﷺ هذا الأسلوب في دعوة أصحابه، ومن صور ذلك:

أولًا: إبداء الاهتمام للمدعو.

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢٦٠).

(٢)مسند أحمد (٣٣/ ٢٢).

إن إبداء الاهتمام بالمدعو من قبل الدعاة أسلوب دعوي مؤثر في إيصال الرسالة الدعوية والتعمق في غرس القناعات والقيم الإسلامية، وذلك عن طريق الملاحظة الدائمة لمدى تأثر المدعو بما بلغه من الدعوة، فيشجع حين يصيب، ويقوم حين يخطئ، ومن خلال نصوص السنة النبوية تتضح للداعية معالم هذا الأسلوب في التطبيقات التالية:

الأول: تخصيص المقبل منهم بمزيد من العناية.

ويظهر هذا في فعل النبي ﷺ مع السائل الذي يريد معرفة وقت صلاة الصبح، حينما خصه بالجواب مع أنه حكم عام ويشمل الجميع، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ وَقْتِ صَلاَةِ الصُّبْحِ، قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الغَدِ صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ طَلَعَ الفَجْرُ، ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ مِنَ الغَدِ بَعْدَ أَنْ أَسْفَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ وَقْتِ الصَّلاَةِ»؟ قَالَ: هَا أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتٌ»[1].

قال أبو الوليد الباجي: "وقوله: «أين السائل عن وقت الصلاة» يقتضي اهتمامه بتعليم السائل وإرادته لإتمام ما شرع فيه من تعليمه، ويدل ذلك على أنه اعتقد مقامه عنده إلى أن يتم تعليمه، وهو وإن كان ﷺ يعلم الجميع إلا أنه خص السائل لفضل اجتهاده وبحثه عن العلم"[2].

الثاني: السؤال عنه عند غيابه.

وغالبًا ما يكون هذا الأسلوب من الدعاة مع المدعوين الذين يلازمونهم ملازمة تعلم

(١) تقدم التعليق على الحديث، حديث رقم (١٨).

(٢) المنتقى، الباجي، (١/ ٨).

أو تربية أو قرابة، ليشعروهم بالاهتمام المبني على حب الخير لهم، ويدل لذلك ما جاء في الحديث أن يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ؛ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، يَا رَسُولَ الله، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَطُوفُ بَيْنَ القَتْلَى، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله إِلَيْكَ، لِآتِيَهُ بِخَبَرِكَ، قَالَ: فَاذْهَبْ إِلَيْهِ، فَاقْرَئْهُ مِنِّي السَّلاَمَ، وَأَخْبِرْهُ أَنِّي قَدْ طُعِنْتُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ طَعْنَةً، وَأَنِّي قَدْ أُنْفِذَتْ مَقَاتِلِي، وَأَخْبِرْ قَوْمَكَ أَنَّهُ لاَ عُذْرَ لَهُمْ عِنْدَ الله، إِنْ قُتِلَ رَسُولُ الله ﷺ وَوَاحِدٌ مِنْهُمْ حَيٌّ[1]. حيث كان النبي ﷺ يسأل عن سعد بن الربيع رضي الله عنه بعد المعركة في أحد، فقد كان من **النقباء**[2] الذينتقدموا لأخذ البيعة لنصرة رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وهذا اهتمام منه ﷺ بأصحابه وأنصاره لمعرفة أخبارهم وما جرى لهم[3].

وقد أدرك عمر رضي الله عنه هذا الأسلوب وأثره في دوام التواصل بين الداعية والمدعو على الخير، والتواصي على البر والتقوى، كما جاء في الأثر عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ؛ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ فَقَدَ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، وَأَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ غَدَا إِلَى السُّوقِ، وَمَسْكَنُ سُلَيْمَانَ بَيْنَ المَسْجِدِ وَالسُّوقِ، فَمَرَّ عَلَى الشِّفَاءِ، أُمِّ سُلَيْمَانَ، فَقَالَ لَهَا: لَمْ أَرَ سُلَيْمَانَ فِي الصُّبْحِ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَاتَ يُصَلِّي، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ: لأَنْ أَشْهَدَ صَلاَةَ الصُّبْحِ

(١) تقدم التعليق على الحديث، حديث رقم (١٧٢).

(٢) النقباء: جمع نقيب وهو مقدم قومه والناظر عليهم والنقباء المذكورون في أصحاب النبي ﷺ الأنصار الذين تقدموا لأخذ البيعة لنصرة النبي ﷺ. ينظر: النهاية، ابن الأثير، (٥/ ١٠١)، مشارق الأنوار، عياض (٢/ ٢٣).

(٣)ينظر: الاستذكار، ابن عبد البر، (٥/ ١٣١)، و المنتقى، الباجي، (٣/ ٢١٤).

فِي الجَمَاعَةِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ لَيْلَةً [1].

فحينما افتقد عمررضي الله عنهسليمان بن خيثمة في صلاة الصبح، لقي أمه فسألها عن ابنها، وكان نتيجة هذا الاهتمام معالجة ما حصل من قصور عند المدعو في العمل بالأولويات في العبادة لما علم أن سليمان أجهد نفسه في قيام الليل جهادا جعله يفوت صلاة الصبح، فقال عمر مبينا عظم شأن الفريضة وأن العناية بها مقدم على العناية بالنافلة: **"لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة، أحب إلى من أن أقوم ليلة"**، ويقول محمد عبد الحي اللكنوي في فائدة سؤال عمر عن سليمان: "فيه تفقد الإمام رعيته في شهود الخير"[2].

الثالث: تفقد أحواله والسؤال عن أخباره.

كما فعل عمر رضي الله عنه، **فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، ثُمَّ سَأَلَ عُمَرُ الرَّجُلَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ، فَقَالَ عُمَرُ: ذلِكَ الَّذِي أَرَدْتُ مِنْكَ** [3]. وهذا السؤال يبرز ما يحمله الداعية الصادق من مشاعر كريمة وإحساس أخوي تجاه المدعو، يرغبه ويقربه من الداعية، وتكون سببا في القناعة بمنهجه.

---

(١)تقدم التعليق على الأثر، أثر رقم (٣٦).

(٢) التعليق الممجد على موطأ محمد (برواية محمد بن الحسن)، محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، (١/ ٦٣٧).

(٣) أخرجه مالك، كتاب السلام، باب جامع السلام، (٥/ ١٣٩٩)، رقم الأثر (٣٥٣٢)، ومن طريقه أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب كيف أنت، (١/ ٣٨٦)، رقم الأثر (١١٣٢) وصححه العراقي في المغني عن حمل الأسفار، رقم (٣٧١٥)، والألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٢٩٥٢).

قال الباجي: "سؤال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرجل عن حاله على سبيل التأنيس وحسن العشرة لمن عرفه الإنسان أن يسأل عن حاله" (١).

ثانيًا: تلمس حاجة المدعو.

إن مشاعر الداعية وما يضمره في قلبه من الشفقة والرحمة وحب الخير للناس ينعكس ذلك على أسلوبه الدعوي في إحساسه الصادق وشعوره اليقظ بتلمس حاجات المدعوين وتلبية نداءاتهم ومراعاة ما يصلحهم في دينهم ودنياهم، ولا أدل على ذلك من مواقف النبي ﷺ التي تبرز هذا الأسلوب.

ويظهر ذلك جليًّا في هذا الحديث الذي أخرجه البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَلَكَتِ المَوَاشِي وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ فَمُطِرْنَا مِنَ الجُمُعَةِ إِلَى الجُمُعَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، تَهَدَّمَتِ البُيُوتُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، وَهَلَكَتِ المَوَاشِي، فَقَالَ رَسُولُ الله: «اللهُمَّ ظُهُورَ الجِبَالِ وَ**الآكَامِ** (٢)، وَبُطُونَ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتَ الشَّجَرِ» قَالَ: فَ**انْجَابَتْ** (٣)، عَنِ المَدِينَةِ انْجِيَابَ

(١) المنتقى، الباجي، (٧/ ٢٨٢).

(٢) جمع أكمة وهي الرابية، وقيل: الجبال الصغار وقيل هو ما اجتمع من التراب أكبر من الكدية. ينظر: النهاية، ابن الأثير، (١/ ٥٩)، مشارق الأنوار، عياض، (١/ ٣٠).

(٣) فانجابت انجياب الثوب قيل: تقطعت وانكشفت كالثوب الخلق المنقطع وقيل تجمعت وانقضت. ينظر: مشارق الأنوار، عياض، (١/ ١٦٣).

الثَّوْبِ [1].

حيث جاء الصحابي إلى النبي ﷺ يشكو من الجدب وانحباس المطر، فدعا النبي ﷺ له ملبيًا حاجته، ثم جاءه في الجمعة الأخرى يشكو من غزارة المطر وما خلفه من ضرر، فدعا له بما يفي بمقصوده وصلاح حاله فقال ﷺ: «اللهم ظهور الجبال والآكام، وبطون الأودية، وَمَنَابِتَ الشَّجَرِ»، وفي كلا الخطبتين يجعل له نصيبا من خطبته متلمسًا حاجة أمته في الدين والدنيا، يقول ابن بطال: "وفيه: أن على الإمام إذا سئل الخروج إلى الاستسقاء أن يجيب إلى ذلك، لما فيه من الضراعة إلى الله في صلاح أحوال عباده وأن يأمرهم بالخروج من المظالم والتوبة من الذنوب، وإصلاح نياتهم، ويعظهم، وكذلك إذا سئل الإمام ما فيه صلاح أحوال الرعية أن يجيبهم إلى ذلك أيضًا؛ لأن الإمام راع ومسئول عن رعيته، فيلزمه حياطتهم وتشفيعهم فيما سألوه مما لا بد لهم منه، وكان ﷺ لا يرد من سأله حاجة"[2].

وشأن الدعاة من بعد رسول الله ﷺ هو العناية بحاجات الناس ومعاشاتهم كما في الأثر عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: مُرَّ عَلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ بِغَنَمٍ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَرَأَى فِيهَا شَاةً **حَافِلاً** [3] ذَاتَ ضَرْعٍ عَظِيمٍ. فَقَالَ عُمَرُ: مَا هذِهِ الشَّاةُ؟ فَقَالُوا: شَاةٌ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب الاستسقاء، باب إذا استشفعوا إلى الإمام ليستسقي لهم لم يردهم (٢/ ٢٩)، رقم الحديث (١٠١٩).

(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (٣/ ١٤).

(٣) أي ذات لبن فضرعها مملو لبنا. ينظر: النهاية، ابن الأثير، (١/ ٤٠٩)، مشارق الأنوار، عياض، (١/ ٢٠٨).

عُمَرُ: مَا أَعْطَى هذِهِ أَهْلُهَا وَهُمْ طَائِعُونَ، لاَ تَفْتِنُوا النَّاسَ، لاَ تَأْخُذُوا **حَزَرَاتِ**[1] **الْمُسْلِمِينَ، نَكِّبُوا**[2] عَنِ الطَّعَامِ[3].

فهذا عمر رضي الله عنه يحذر أصحابَه أن يأخذوا في الزكاة من كرائم الأموال، لنفاستها وطيبها عند أهلها، يقول ابن العربي في فائدة ذلك: "فيه أن عمر رضي الله عنه كان شديد الإشفاق على المسلمين، وكان كما قيل فيه: كالطير الحذر، وهكذا يلزم الخلفاء أن يكونوا فيمن أمروه واستعملوه الحذر منهم والاطلاع في أعمالهم"[4].وعمر رضي الله عنه كان في تطبيقه لهذا الأسلوب الحسي مقتديا بالنبي ﷺ حيث قال في وصيته لمعاذ: "**فإياك وكرائم أموالهم**»[5]، والمراد بذلك أن يتقي نفائس الأموال من أي صنف كان في جبايته للزكاة[1].

(١) هي: خيار مال الرجل. ينظر: النهاية، ابن الأثير، (١/ ٣٧٧)، مشارق الأنوار، عياض، (١/ ١٩١).

(٢) يريد الأكولة وذوات اللبن، ونحوهما: أي أعرضوا عنها ولا تأخذوها في الزكاة، ودعوها لأهلها. ينظر: النهاية، ابن الأثير، (٥/ ١١٢)، مشارق الأنوار، عياض، (٢/ ١٢).

(٣) أخرجه مالك، كتاب الزكاة، باب النهي عن التضييق على الناس في الصدقة، (٢/ ٣٧٦) رقم الأثر (٩١٥)، ومن طريقه أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الزكاة، باب ترك التعدي على الناس في الصدقة، (٤/ ١٥٨)، رقم الأثر (٧٩١٠)، وذكره البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة من رواية مسدد وقال: "رجاله ثقات ". ينظر: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، البوصيري، رقم الأثر (٢٠٦٩).

(٤) المسالك، ابن العربي، (٤/ ٧٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، (٢/ ١١٩)، رقم الحديث (١٤٥٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، (١/ ٥١)، رقم (١٩).

المبحث الثاني

مواساة المحتاجين

المطلب الأول: تعريف مواساة المحتاجين.

المواساة لغةً: من الفعل آساه بماله مواساة: أناله منه، وتآسوا: آسى بعضهم بعضاً [٢].

واساه بمصيبته تأسية فتأسى: أي عزاه تعزية فتعزى، وذلك أن يقول له: ما لك تحزن وفلان أسوتك، أي أصابه ما أصابك فصبر فتأس به، وقد جاء ذكر المواساة في الحديث كثيراً، وهي المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق؛ وأصلها الهمزة فقلبت واواً تخفيفاً [٣].

مواساة المحتاجين في الاصطلاح:

قال ابن مسكويه: "المواساة هيمعاونة الأصدقاء والمستحقين ومشاركتهم في الأموال والأقوات"[٤].

ومن خلال ارتباط المصطلحات بالمعنى اللغوي فإن المواساة أعم من أن تكون مقتصرة على المشاركة والمعاونة في الأموال والأقوات، وإنما هي أشمل وأوسع من حيث تعلقها يكل ما يعوز المحتاج سواء أكانت حاجة مادية أو نفسية أو صحية أو غير ذلك.

ولذلك فإن التعريف المختار لأسلوب (مواساة المحتاجين) هو: (الوقوف مع المدعو في

---

(١) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (٣/ ٣٢٢).

(٢) ينظر: القاموس المحيط، الجوهري، (١/ ١٢٥٩).

(٣) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، (٣٧/ ٧٦).

(٤) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أحمد بن محمد مسكويه، ص (٣١).

حاجته تسلية وتعزية له).

المطلب الثاني: مشروعية المواساة عند الحاجة.

إن مواساة المحتاجين من الأساليب الدعوية التي تعمق الترابط الأخوي والاجتماعي بين الدعاة والمدعوين، من خلال ملاحظة أحوالهم والإحساس بمعاناتهم والوقوف إلى جانبهم في الأزمات والظروف التي لا يخلو منها أحد، وهذا مما يساعد في تماسك المجتمع الدعوي وشعوره بالجسد الواحد والبنيان المحكم، وهذه حقيقة الحياة الاجتماعية للمسلمين التي رباهم الإسلام عليها، قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد»(١).

ولذلك فإن اهتمام الدعاة بالمدعوين لا يقتصر على الاهتمام المباشر من وعظ وتوجيه، بل لا بد من مشاركة الناس حياتهم في السرور بأفراحهم والمواساة لهم عند معاناتهم وأحزانهم، وهذا مما يقرب الناس من دعاتهم وقادتهم، إذ يشعرون بصدق الدعاة وأنهم لا يريدون سوى الخير للغير في الدين والدنيا، ويظهر هذا الجانب الحسي في حياة الداعية الأول ﷺ كما جاء في الحديث عَنْ سُوَيْدِ بْنِ النُّعْمَانِ (٢)، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (٨/ ١٠)، رقم الحديث (٦٠١١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٤/ ١٩٩٩)، رقم الحديث (٢٥٨٦).

(٢) هو: سويد بن النعمان بن مالك الأنصاري، أبو عقبة، صحابي شهد أحدا وما بعدها. ينظر: الاستيعاب، ابن عبد البر، (٢/ ٦٨٠)، أسد الغابة، ابن الأثير، (٢/ ٦٠١).

خَيْبَرَ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالصَّهْبَاءِ[1]، وَهِيَ مِنْ أَدْنَى خَيْبَرَ، نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَلَّى العَصْرَ، ثُمَّ دَعَا بِالأَزْوَادِ، فَلَمْ يُؤْتَ إِلاَّ بِالسَّوِيقِ[2]، فَأَمَرَ بِهِ فَثُرِّيَ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَكَلْنَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى المَغْرِبِ فَمَضْمَضَ وَمَضْمَضْنَا، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ[3].

فقد دعا رسول الله ﷺ الناسَ بأن يأتوا بما عندهم من زاد ويأكلون منه جميعا، قال ابن بطال في شرح الحديث: "وفيه: أن القوم إذا فنى أكثر زادهم فوجب أن يتواسوا في زاد من بقى من زاده شيء، فإن أراد الذى بقى من زاده أن يأخذ فيه الثمن فذلك له إن كان عند القوم ثمن، وإن كان ثمنه قدرًا اجتهد فيه بلا بدل، فإن لم يكن عندهم ثمن فواجب عليهم أن يتواسوا إلى أن يخرجوا من سفرهم إلى موضع يجدون الزاد فيه، لأن على المسلم أن يواسى أخاه"[4].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلاَةُ

(١) جبل له ذكر في غزوة خيبر، وهو جبل يطل على خيبر من الجنوب، ويسمى اليوم جبل «عطوة» يشرف على بلدة الشّريف، قاعدة خيبر من الجنوب، وقيل: إن بها مسجدا لرسول الله ﷺ. ينظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي، (٤/ ١٠٧)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد حسن شراب، (١/ ١٦٢).

(٢) هو: دقيق القمح المقلو أو الشعير أو الذرة أو الدخن. ينظر: عمدة القاري، العيني، (١٤/ ٢٣٧).

(٣) أخرجه مالك، كتاب الطهارة، باب ترك الوضوء مما مست النار، (٢/ ٣٥)، رقم الحديث (٧٢)، ومن طريقه أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب من مضمض من السويق ولم يتوضأ، (١/ ٥٢)، رقم الحديث (٢٠٩).

(٤) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (١/ ٣١٧).

العَصْرِ، فَالتَمَسَ النَّاسُ وَضُوءاً فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ بِ**وَضُوءٍ**[1] فِي إِنَاءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ الله ﷺ فِي ذلِكَ الإِنَاءِ يَدَهُ، ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ يَتَوَضَّؤُونَ مِنْهُ قَالَ أَنَسٌ: فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ[2].

قال الزرقاني في شرح الحديث: «وفي الحديث دليل على أن المواساة مشروعة عند الضرورة لمن كان في مائه فضلة عن وضوئه»[3].

المطلب الثالث: صور المواساة.

ليست المواساة صورة بعينها، بل له صور متعددة؛ فمنها المواساة بالمال، ومنها المواساة بالجاه، ومنها المواساة بالصلة، ومنها المواساة بالتعزية، والمواساة بعيادة المريض، وغير ذلك من الصور، وفي كل ذلك أدلة من الكتاب والسنة وآثار الصحابة والسلف تتجلى فيها مظاهر المواساة في أبهى صورة، وسنتحدث عن بعض هذه الصور.

أولاً: الإحسان إلى اليتيم:

الإحسان إلى اليتيم من صور المواساة التي يعتني بها الدعاة كأسلوب دعوي حسي،

(١) الوضوء، بالفتح: الماء الذي يتوضأ به، وبالضم: التوضؤ، والفعل نفسه. ينظر: النهاية، ابن الأثير، (٥/ ١٩٥)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس الحموي (٢/ ٦٦٣).

(٢) أخرجه مالك، كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء، (٢/ ٤٣)، رقم الحديث (٨٦)، ومن طريقه أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، (١/ ٤٥)، رقم الحديث (١٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ (٤/ ١٧٨٣)، رقم الحديث (٢٢٧٩).

(٣) شرح الموطأ، الزرقاني، (١/ ١٦٠).

واليتيم: هو الذي فقد أباه قبل سن البلوغ [1]، والإحسان إليه بالترغيب في كفالته لتعويضه ما افتقده من عطف الأبوة وكمال الرعاية، حرصا من المسلمين على مواساة بعضهم البعض ليعيشوا بسعادة ورخاء، وفي الحديث عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ؛ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ، لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، فِي الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ، إِذَا اتَّقَى، وَأَشَارَ بِإِصْبُعَيْهِ الوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ» [2].

قال ابن عثيمين: «وفي هذا حث على كفالة اليتم، وكفالة اليتيم هي القيام بما يصلحه في دينه ودنياه؛ بما يصلحه في دينه من التربية والتوجيه والتعليم وما أشبه ذلك، وما يصلحه في دنياه من الطعام والشراب والمسكن» [3].

ومن صور اهتمام الدعاة بأسلوب الإحسان إلى اليتيم، التجارة بماله من قبل وليه وكافله؛ لينتفع به ويجد الربح الذي يعينه في مجابهة ظروف الحياة، ومن ذلك ما جاء في الأثر عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ [4]؛ أَنَّهُ اشْتَرَى لِبَنِي أَخِيهِ، يَتَامَى فِي حَجْرِهِ، مَالاً، فَبِيعَ ذلِكَ المَالُ، بَعْدُ، بِمَالٍ كَثِيرٍ [5].

---

(١) ينظر: غريب الحديث، ابن قتيبة، (١/ ٢٣١)، النهاية، ابن الأثير، (٥/ ٢٩٢).

(٢) أخرجه مالك، كتاب الشعر، باب السنة في الشعر، (٥/ ١٣٨٣)، رقم الحديث (٣٤٩١) منقطعا، وقد جاء موصولا من حديث سهل بن سعد، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما، (٨/ ٩)، رقم الحديث (٦٠٠٥).

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، (٣/ ٩٧).

(٤) تقدمت ترجمته، حديث رقم (١٧٢).

(٥) أخرجه مالك، كتاب الزكاة، باب زكاة أموال اليتامى، والتجارة لهم فيها، (٢/ ٣٥٤)، رقم الأثر (٨٦٦).

فهذا العالم الحافظ يحيى بن سعيد تاجر بأموال بني أخيه اليتامى الذين في حجره، قال الباجي: «وهذا من أفضل ما يفعل في أموالهم، ويحتمل أن يكون إنما اشتراه لهم لما فيه من الربح وأنه يباع بعد ذلك بأكثر مما اشتراه به» (١).

ثانياً: التيسير على المعسر:

التيسير على المعسر ومراعاة حاله يعد من الأساليب الدعوية العملية التي تنبع من صدق الأخوة وعمق الإحساس وكرم المشاعر من المسلم تجاه أخيه المسلم، فقد أمر النبي ﷺ بذلك كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَطْلُ** (٢) الغَنِيِّ ظُلْمٌ، وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ (٣) ، فَلْيَتَّبِعْ» (٤)، وصورة ذلك أن يقول المدين لصاحب الدين: خذ دينك الذي لك على فلان فإن لي عنده مال، وهو ملئ أي: مقتدر وغني، فيستحب حينئذ قبول

(١) المنتقى، الباجي، (٢/ ١١١).

(٢) مطله بدينه مطلا أيضا إذا سوفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى. ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس الحموي، (٢/ ٥٧٥).

(٣) المليء بالهمز: الثقة الغني. ينظر: النهاية، ابن الأثير، (٤/ ٣٥٢)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس الحموي، (٢/ ٥٨٠).

(٤) أخرجه مالك، كتاب البيوع، باب جامع الدين والحول، (٤/ ٩٧٢)، رقم الحديث (٢٤٨٤)، ومن طريقه أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحوالات، باب الحوالة، وهل يرجع في الحوالة، (٣/ ٩٤)، رقم الحديث (٢٢٨٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب تحريم مطل الغني، وصحة الحوالة، واستحباب قبولها إذا أحيل على ملي، (٣/ ١١٩٧)، رقم الحديث (١٥٦٤).

الحوالة عند جمهور الفقهاء[1]، وبين ابن دقيق العيد أن ذلك من باب الإحسان إلى المعسر فقال:«لما فيه من الإحسان إلى المحيل بتحصيل مقصوده، من تحويل الحق عنه، وترك تكليفه التحصيل بالطلب»[2]، وقال القرطبي رحمه الله في تعليل ذلك: «لأنه من باب المعروف والتيسير على المعسر»[3].

ولذلك فإن الداعية لا يغفل عن مثل هذه الأساليب التي تؤثر في نفوس المدعوين، لأنها دعوة عملية وانعكاس فعلي لما يعرضه الداعية من المثل والأخلاق التي يدعو بها في مجالسه وندواته، وعليه أن يكون سباقًا للإعذار والتيسير والإغضاء، ويسعى بين الناس بذلك ليحقق مراده من قبول الناس لدعوته من خلال رؤيتهم لصدق أخوته وعظيم إحساسه المتمثل في مواساة المحتاجين.

ثالثاً: تعزيـــة المصـــــاب:

إن تعزية المصاب وتذكيره بالأجر المترتب على الصبر من الأساليب الدعوية التي تتم بها المواساة عند المصائب، ولما للتعزية من أهمية في تخفيف معاناة المصاب، وانطلاقًا من حرص النبي الكريم ﷺ على ترسيخ هذا المبدأ في النفوس، فقد أرشد ﷺ إلى تذكير المصاب

(١) ينظر: عارضة الأحوذي، ابن العربي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، (٦/ ٤٤)، المنهاج، النووي، (١٠/ ٢٢٨).

(٢) إحكام الأحكام، ابن دقيق العيد، (٢/ ١٤٦).

(٣) المفهم، القرطبي، (٤/ ٣١١).

عند تعزيته بمصاب الأمة بفقده ﷺ كما جاء في الحديث **عَنْ عبد الرَّحْمنِ بْنِ القَاسِمِ** [1]**؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لِيُعَزِّ الْمُسْلِمِينَ فِي مَصَائِبِهِمُ، الْمُصِيبَةُ بِي»** [2]، وفي ذلك تسلية للمصاب وتطييبًا لفؤاده فإن كل شيء يهون بعده بأبي هو وأمي ﷺ.

ولأبي العتاهية:

وإذا أتتك مصيبة تشجى بها فاذكر مصابك بالنبي محمد[3][4].

قال ابن عبد البر: "ونعم العزاء فيه لأمته ﷺ فما أصيب المسلمون بعده بمثل المصيبة به، وفيه العزاء والسلوى وأي مصيبة أعظم من مصيبة من انقطع بموته وحي السماء، ومن لا عوض منه رحمة للمؤمنين، وقضاء على الكافرين والمنافقين، ونهجا للدين"[5].

والداعية يقف مع المدعوين في أحزانهم ومصائبهم مذكرًا لهم بالأجر والصبر والرضا بقضاء الله وقدره، يقول الشيخ ابن عثيمين في الحكمة من التعزية وما يقال فيها: "والمهم أنه

(١) هو: عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي، أبو محمد المدني، ثقة جليل، من السادسة، مات سنة (١٢٦)، روى له الجماعة. ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٥/ ٣٦٧)، الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، (٥/ ٢٧٨).

(٢) أخرجه مالك، كتاب الجنائز، باب جامع الحسبة في المصيبة، (٢/ ٣٣١)، رقم الحديث (٨٠٩)، مرسلا، وصححه الألباني بمجموع شواهده. ينظر: السلسلة الصحيحة، الألباني، (٣/ ٩٧).

(٣) ديوان أبي العتاهية (ص: ١٢٩).

(٤) ينظر: عيون الأخبار، ابن قتيبة، (٣/ ٦٧).

(٥) الاستذكار، ابن عبد البر، (٣/ ٨٠).

يجب أن نعلم أن التعازي إنما هي لتقوية المصاب على الصبر وتسليته، فيختار لها من الكلمات أفضل ما يكون وأقرب ما يكون للتعزية، ولا أحسن من الكلمات التي صاغها نبينا ﷺ، والله الموفق"[1].

رابعاً: مواساة الفقراء والمساكين:

جاءت أحاديث عن النبي ﷺ تدل بمجموعها على مواساة **الفقراء والمساكين**[2]، وسد حاجاتهم المادية والمعنوية من خلال ما يستحقونه من نصيب الزكاة المفروضة على المسلمين التي تصرف في الأصناف الثمانية المسطورة في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾[التوبة:٦٠].

ومن هذه الأحاديث:

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنِ ابْنِ بُجَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ ثُمَّ الحَارِثِيِّ، عَنْ جَدَّتِهِ[3]؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «رُدُّوا المِسْكِينَ وَلَوْ بِ**ظِلْفٍ**[4] مُحْرَقٍ»[5].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، (١/ ٢١٠).

(٢) الفقير الذي لا شيء له، والمسكين: الذي لا يملك ما يكفيه، وقيل العكس. ينظر: النهاية، ابن الأثير، (٣/ ٤٦٢)، مشارق الأنوار، عياض، (٢/ ١٦٢).

(٣) تقدمت ترجمتها، حديث رقم (٥٩).

(٤) الأظلاف للبقر والغنم والظباء وكل حافر منشق منقسم فهو ظلف. ينظر: النهاية، ابن الأثير، (٣/ ١٥٩)، مشارق الأنوار، عياض، (١/ ٣٢٩).

(٥) أخرجه مالك، كتاب صفة النبي ﷺ باب ما جاء في المساكين، (٥/ ١٣٥١)، رقم الحديث (٣٤١٥)، والترمذي

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ **الوَلِيمَةِ**[1]، يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ، وَيُتْرَكُ المَسَاكِينُ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ الدَّعْوَةَ، فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَرَسُولَهُ[2].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَبْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ [3]؛ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ مِسْكِينَةً مَرِضَتْ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَرَضِهَا، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُ المَسَاكِينَ وَيَسْأَلُ عَنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَتْ فَآذِنُونِي بِهَا» فَأُخْرِجَ بِجَنَازَتِهَا لَيْلاً، فَكَرِهُوا أَنْ يُوقِظُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُخْبِرَ بِالَّذِي كَانَ مِنْ شَأْنِهَا فَقَالَ: «أَلَمْ آمُرْكُمْ أَنْ تُؤْذِنُونِي بِهَا؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَرِهْنَا أَنْ نُخْرِجَكَ لَيْلاً، وَنُوقِظَكَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى صَفَّ بِالنَّاسِ عَلَى قَبْرِهَا، وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ [4].

في سننه، كتاب أبواب الزكاة، باب ما جاء في حق السؤال، (٣/ ٤٣)، رقم الحديث (٦٦٥)، بلفظ «إن لم تجدي له شيئا تعطيه إياه إلا ظلفا محرقا فادفعيه إليه في يده» وقال الترمذي: "حديث أم بجيد حديث حسن صحيح ".

(١) هي: طعام العرس والابتناء. ينظر: النهاية، ابن الأثير، (٥/ ٢٢٦)، مشارق الأنوار، عياض، (٢/ ٢٨٦)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس الحموي، (٢/ ٦٧٢).

(٢) أخرجه مالك، كتاب النكاح، باب ما جاء في الوليمة، (٣/ ٧٨٥)، رقم الحديث (٢٠٠٩)، ومن طريقه أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله، (٧/ ٢٥)، رقم الحديث (٥١٧٧).

(٣) هو: أسعد بن سهل بن حنيف الأنصاري أبو أمامة معروف بكنيته، معدود في الصحابة له رؤية ولم يسمع من النبي ﷺ مات سنة (١٩٢)، روى له الجماعة. ينظر: أسد الغابة، ابن الأثير، (٦/ ١٦)، الإصابة، ابن حجر، (١/ ٣٢٦).

(٤) أخرجه مالك، كتاب الجنائز، باب ما جاء في التكبير على الجنائز، (٢/ ٣١٨)، رقم الحديث (٧٧٢)، مرسلا، ومن طريقه أخرجه النسائي في المجتبى، كتاب الجنائز، باب الإذن بالجنازة، (٤/ ٤٠)، رقم الحديث (١٩٠٧)، عن

وقد رغب الشرع في الصدقة المستحبة على المحتاجين، وإشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية.

وعلى ضوء هذه الأحاديث يمكن للداعية تفعيل هذا الأسلوب الحسي في صور ثلاثة:

الأولى:الإحسان إلى المساكين بعدم ردهم.

يفيده حض النبي ﷺ وترغيبه في قبول مسألة المسكين، وإعطاءه ولو شيئا يسيرا مواساة له، لئلا تنكسر نفسه ألما من الحرمان والإعراض على ما بها من ألم الحاجة والمسغبة، ولذلك بالغ النبي ﷺ في الحث على العطاء إذ يقول: «**ردوا المسكين ولو بظلف محرق**»، قال الزرقاني رحمه الله: "يعني: لا تردوه رد حرمان بلا شيء، ولو أنه ظلف، فهو مثل ضرب للمبالغة" [1].

الثانية: دعوة الفقراء إلى الولائم.

دعوتهم وإكرامهم حتى لا يشعروا بالتفرقة والاحتقار من قبل المجتمع، ولذلك ذم النبي ﷺ طعام الأعراس التي تقتصر الدعوة فيها على سادات الناس وكبرائهم وأغنيائهم، فقال ﷺ: «**شر الطعام طعام الوليمة، يدعى لها الأغنياء، ويترك المساكين** ...»، يقول

أبي أمامة سهل بن حنيف مرسلا، وقبل الحافظ ابن حجر إرساله فقال " على أن الإرسال هنا لا يضر إن شاء الله فإن أبا أمامة تعْرف روايته عن الصحابة، فيكون قد تلقاه عنهم، وعدم معرفة الصحابي لا يؤثر في صحة الحديث"، وصححه الألباني. ينظر: المطالب العالية، ابن حجر، (١١/ ٢٩٤)، وصحيح وضعيف النسائي، الألباني، رقم (١٩٠٧).

(١) شرح الموطأ، الزرقاني، (٤/ ٤٥٧).

النووي:«ومعنى هذا الحديث الإخبار بما يقع من الناس بعده ﷺ من مراعاة الأغنياء في الولائم ونحوها وتخصيصهم بالدعوة وإيثارهم بطيب الطعام ورفع مجالسهم وتقديمهم وغير ذلك مما هو الغالب في الولائم والله المستعان»(١).

الثالثة: زيارتهم.

زيارتهموتعاهدهم بالجلوس معهم والحديث إليهم، وكان هذا أسلوبًا ينتهجه الداعية الأول والإمام الأعظم ﷺ مع المساكين، كما جاء في حديث الدراسة، حيث يقول الراوي: «وكان رسول الله ﷺ يعود المساكين ويسأل عنهم»، قال ابن عبد البر: «وفيه من الفقه عيادة المريض، وعيادة الرجال النساء المتجالات(٢)، وعيادة الأشراف والخلفاء المهتدين بهدي الأنبياء للفقراء، وما كان عليه رسول الله ﷺ من التواضع في عيادة الفقراء والمساكين»(٣).

الخاتمة

إن تفقد الداعي للمدعو ومواساته أمر من الأهمية بمكان، وهو خلق كريم يدعو إليه الإسلام وتستجيب له النفوس الطيبة، كما أنه يبعث على تكوين مجتمع مترابط مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء.

(١) المنهاج، النووي، (٩/ ٢٣٧).

(٢) النساء اللواتي قد اشتملن بجلابيبهن حتى لا يظهر منهن شيء غير عيونهن، المعجم الوسيط (٢/ ٨٦٥).

(٣) الاستذكار، ابن عبد البر، (٣/ ٣٣).

أولًا: أهم النتائج:

- المنهج النبوي واضح في تفقد أحوال المدعوين عمليًاومواساة المحتاجين منهم، حيث تزخر السنة النبوية بعشرات الأحاديث النبوية في ذلك.
- الاهتمام بالمدعو وتفقد أحواله ومواساته إن احتاج لذلك من قبل الدعاة؛ أسلوب دعوي مؤثر في إيصال الرسالة الدعوية.
- ليس شرطًا أن يكون الاهتمامبذل المال، بل هناك صور متعددة للاهتمام والتفقد والمواساةقد لا تكلف الداعي شيئًا، فالبر شيء هين، وجه طلق وكلام لين.
- مواساة المحتاجين من الأساليب الدعوية العملية والأخلاقية التي تعمق الترابط الأخوي والاجتماعي بين الدعاة والمدعوين.
- يجب أن يقف الداعية مع المدعوين في أحزانهم ومصائبهم مذكرًا لهم بالأجر والصبر والرضا بقضاء الله وقدره.

ثانيًا: التوصيات:

- أوصي الدعاة إلى الله أن يكونوا على قدر المسؤولية التي أولاهم الله إياها، فالناس يحتاجون إلى من يسأل عنهم ويتفقد أحوالهم ويتحسس أخبارهم للاطمئنان عليهم.
- وأوصي بالرجوع إلى السنة النبوية لاستخراج المواقف العملية من فعل الرسول ﷺ وصحابته في الاهتمام العملي بالمدعوين والمحتاجين.